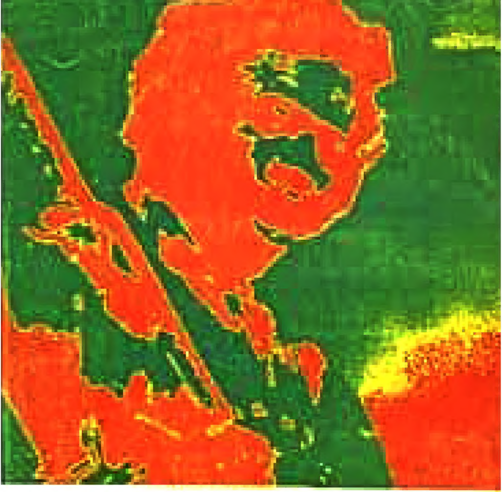


دكتور صلاح إسماعيل

فلسفة اللغة والمنطق

دراسة في فلسفة كواين



فلسفة اللغة والمنطق

دراسة فى فلسفة كواين

تأليف

دكتور صلاح إسماعيل

قسم الفلسفة

كلية الآداب - جامعة القاهرة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

إهــداء

إلى أستاذى الدكتور محمد مهران
اعترافا بعلمــه وفضلــه

تصدير

فلسفة اللغة موضوع قديم ، ولكنه جاء مع مطلع القرن العشرين واحتل مكان الصدارة بين موضوعات الفلسفة ، ثم زادت العناية به فى النصف الثانى من هذا القرن زيادة كادت أن تحول الفلسفة برمتها إلى فلسفة للغة ، إذ ينظر كثير من الفلاسفة المعاصرين إلى فلسفة اللغة باعتبارها الفرع الفلسفى الوحيد الذى يستحق الاهتمام هذه الأيام ؛ ولا يكاد هؤلاء الفلاسفة يحفلون بمشكلات الميتافيزيقا أو الانطولوجيا أو القيم ، وإنما يعنون العناية كلها بالمشكلات الفلسفية والمنطقية المتعلقة باللغة ؛ وتزخر فلسفة اللغة بفلسفات عديدة ، بيد أن إحداها التى تجئ من سواها فى الطليعة هى فلسفة الفيلسوف والمنطقى الأمريكى ويلارد فان أورمان كواين Willard Van Orman Quine.

وعلى الرغم من أن أهمية كواين لا تضارعها أهمية أى فيلسوف آخر من الفلاسفة الأحياء ، إلا أنه لم يحظ بعناية الدرس الفلسفى العربى ، ولعل الذى جعل الدارسين ينصرفون عن فلسفة كواين هو صعوبة أسلوبه فى الكتابة وجدة النظريات التى يطرحها ، وأقول بكل ما يمكن أن يملكه الإنسان من تواضع إن كتابى هذا يعالج فلسفة كواين لأول مرة فى المكتبة العربية ، ويناقش أيضا أبرز النظريات المعاصرة فى فلسفة اللغة والمنطق .

ولد كواين فى ٢٥ يونيو من عام ١٩٠٨ فى أكرون بولاية أوهايو ، وأظهر فى دراسته الأولى نبوغا فى الرياضيات ، كما اهتم باللغة وبخاصة مسائل النحو وعلم تاريخ الكلمات ؛ وعندما التحق بكلية أوبرلين فى سنة ١٩٢٦ كان فى حيرة من أمره : هل يختار الرياضيات والفلسفة موضوعا للتخصص ، أم يختار اللغة والدراسات الكلاسيكية ؟ ووقع اختياره على الرياضيات وألحقها بقراءة فى فلسفة الرياضيات ، واستهل هذه القراءة فى سنة ١٩٢٨ ، وبعد ذلك التحق كواين بجامعة هارفارد ودرس مع وايتهد ولويس وشيفر وحصل على الماجستير فى ربيع ١٩٣١ ، ثم حصل على الدكتوراه فى سنة ١٩٣٢ فى موضوع « منطق المتواليات : التعميم فى برنكيبيا ماثيماتيكا » ؛ وفى هذه الرسالة المنطقية الرياضية تجلت اهتماماته الفلسفية ، وهنا نؤكد بأنه يخطئ أشد الخطأ من يفصل بين كواين المنطقى وكواين الفيلسوف ، وذلك لأن معظم إسهامات كواين فى مجال المنطق ، وهو أعظم المناطقة

المعاصرين بعد رسل بلا منازع ، كان الدافع إليها اهتمامات فلسفية ؛ وبعد ذلك مباشرة سافر كواين فى منحة ما بعد الدكتوراه إلى فينا وبراغ ووارسو ، وفى فينا تعرف على أوتونيورات ، ومورتس شليك ، وكورت جودل ، وهانز هان ، وكارل منجر ، وكان قد قابل هربرت فايجل فى جامعة هارفارد فى سنة سابقة ؛ وحضر كواين محاضرات شليك ، وحضر أيضا بعض لقاءات جامعة فينا ، وليس من شك فى أن لقاءات كواين بجماعة فينا قد تركت عظيم الأثر فى تفكيره ، إذ بدأ يحدد موقفه من أفكار التيار التجريبى المعاصر الذى ينتمى إليه ، وكان لنقدها يومئذ أقرب منه إلى قبولها .

وفى براغ قابل كواين رودلف كارناب وحضر محاضراته ، وكان أثر كارناب فى غيره من الفلاسفة بالغا وعميقا شأنه فى ذلك شأن رسل ؛ والحق أن فيلسوفنا بدأ عمله الجامعى كنصير لكارناب ، إذ ألقى ثلاث محاضرات طويلة عن كارناب فى سنة ١٩٣٤ ، ونشرت هذه المحاضرات ، بالإضافة إلى الخطابات بين كارناب وكواين منذ سنة ١٩٣٢ وحتى ١٩٧٠ (وهو العام الذى توفى فيه كارناب) فى كتاب ضخم يحمل عنوان « عزيزى كارناب ، عزيزى فان » سنة ١٩٩٠ ؛ ولكن كواين أصبح بعد ذلك من أعمق نقاد كارناب ، ونتج عن التعارض بين آراء كارناب وكواين ، مثل التعارض بين آراء رسل وكواين ، جانبا هاما من فلسفة القرن العشرين .

وسافر كواين من براغ إلى وارسو حيث حضر محاضرات أبرز المناطقة البولنديين مثل تارسكى وليزنفسكى ولوكاشيفتش ، وكان فيلسوفنا على إتفاق تام مع مناطقة وفلاسفة مدرسة وارسو ، إذ سلموا جميعا بالنزعة الماصدقية وفى بعض الأحيان بالمذهب الاسمى . وبعد هذه الأسفار عاد كواين إلى جامعة هارفارد وعمل بها حتى حصل على منصب الأستاذية سنة ١٩٤٨ ؛ تلك خلاصة يسيرة لسيرة حياة فيلسوفنا عرضتها عليك فى كثير جدا من الإيجاز .

أما عن أعماله فقد ألف كواين عشرين كتابا ، كان أولها « نسق اللوجسطيقا » سنة ١٩٣٤ وآخرها « ملاحقة الصدق » ١٩٩٠ ، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات والبحوث المطولة التى نشر بعضها فى كتبه ، والتى بدأها بمقال « ملاحظة عن مصادرة نيكود » سنة ١٩٣٢ (ونيكود Nicod منطقى فرنسى) وكان آخرها مقال « فى الثناء على جمل الملاحظة » سنة ١٩٩٣ ، وترجمت هذه الأعمال إلى معظم اللغات الحية ؛

وأنت ترى أننا أمام فيلسوف اتيحت له حياة ثقافية ثرية طال أمدها حتى أمسك صاحبها بالقلم ما يزيد على ستين عاماً قضاها فى كتابة فلسفية ومنطقية عميقة .

ولفلسفة كواين جوانب متعددة أهمها اللغة والمنطق والرياضيات والابستمولوجيا ، ولقد اخترنا فلسفة اللغة والمنطق على أساس أنهما بمثابة حجر الزاوية فى فلسفته ، وترتبط بهما الجوانب الأخرى بروابط وثيقة ؛ وفى محاولة لتوضيح هذين الجانبين قسمنا الدراسة إلى خمسة فصول يسبقها مدخل وتلحقها خاتمة ، ناقشنا فى المدخل المقصود بمصطلح فلسفة اللغة وفلسفة المنطق ، ثم أوضحنا مصادر اهتمام الفيلسوف باللغة ، وتناولنا التيارات المعاصرة فى فلسفة اللغة وحددنا موقع كواين منها ؛ وأفردنا الفصل الأول لمناقشة مشكلة التحليلية ، وقبل عرضنا لنقد كواين للتمييز التحليلى – التركيبى ، رأينا أنه من الأفضل أن نقدم خلفية تاريخية لهذا التمييز من خلال كتابات بعض الفلاسفة مثل لوك وليبنتز وهيوم ، وكانط ؛ ونظرا لأهمية التمييز بالنسبة للفلسفة التحليلية المعاصرة ، فقد قوبلت اعتراضات كواين بردود كثيرة تسعى للدفاع عن هذا التمييز ، وناقشنا أشهرها وهى دفاع كاوفمان ، وفيتز ، وجرايس وستراوسون ، ثم عرضنا لعودة كواين إلى مشكلة التحليلية فى كتاباته الأخيرة وذلك من خلال النظر إليها من زاوية نظرية التعلم .

وفى الفصل الثانى شرح لنظرية كواين التجريبية السلوكية فى دراسة اللغة والإشارة ، وقد مهدنا له بلمحة سريعة عن مبادئ السلوكية ، ثم بينا كيف استبعد كواين التناول العقلى للغة وذلك قبل أن نوضح نظريته فى تعلم اللغة بشكل عام وتعلم الجانب الإشارى على وجه الخصوص .

حتى إذا ما وصلنا إلى الفصل الثالث ، ألفينا أنفسنا إزاء مشكلة كانت لها ارهاصات فى الفصلين الأول والثانى ولها أيضا امتداد فى الفصلين الرابع والخامس ، وهى مشكلة المعنى ؛ ولا غرو فى ذلك ، فمشكلة المعنى تقع من البناء الفكرى عند فيلسوف اللغة والمنطق عند حجر الأساس ؛ وأشرنا فى بداية هذا الفصل إلى نظريات المعنى فى فلسفة اللغة . وبعد ذلك أوضحنا انتقادات كواين لعلم الدلالة العقلى ، ثم عرضنا لتفسير كواين السلوكى للمعنى . وأخيرا بسطنا بعض الملامح العامة التى تشكل نظرية الاستعمال فى المعنى التى نعتنقها وندافع عنها ، ونأمل أن نزيدها تدعيما وتوضيحا فى بحوث مقبلة .

وأفردنا الفصل الرابع لأقوى انتقادات كواين لنظرية المعنى من منظور علم الدلالة

العقل ، والتى تتمثل فى دعوى « اللاتحديد فى الترجمة » ، وبينا فى بداية هذا الفصل علاقة هذه الدعوى بعلم الدلالة عند كارناب على أساس أنها تمثل رد كواين على كارناب وعرضنا حجج كواين على اللاتحديد ، ونتائج دعوى اللاتحديد بالنسبة لنظرية المعنى وفلسفة العقل ونظرية الإشارة ، ثم ناقشنا بعض الانتقادات الموجهة لهذه الدعوى

ويأتى الفصل الخامس والأخير ليعالج مشكلات تضرب بجذورها فى فلسفة المنطق ويوضح موقف فيلسوفنا منها ، مثل المشكلة الخاصة بحوامل الصدق : هل هى القضية أم العبارات أم الجمل ؟ وأيضا مسألة تعريف الحقيقة المنطقية ، ومتى تكون العبارة صادقة منطقيا ، وليس من شك فى أن هناك صلة حميمة بين فلسفة المنطق وفلسفة اللغة بصفة عامة وعند كواين بصفة خاصة ، وتعد محاولة توضيح هذه الصلة هدفا من بين الأهداف المرومة من وراء دراستنا ، وتتجلى هذه الصلة عندما نعالج حوامل الصدق ، مثلا ، ونقول بأن القضايا هى حوامل الصدق ، فإن النظر فى ماهية القضايا يفضى إلى مشكلة المعنى على أساس أن إحدى وجهات النظر فى تبيان ماهية القضايا هى القول بأن القضايا هى المعانى التى تعبر عنها الجمل ، وبالتالى إذا أراد المرء أن يقدم نظرية معينة فى القضايا أو إذا أراد أن يستبعد مصطلح القضية ، كما يفعل كواين ، فما أمامه إلا سبيل واحد هى أن يلتزم ببعض المواقف إزاء نظرية المعنى والانطولوجيا ؛ أما الخاتمة فتجيب على السؤال ما هى وجهة نظر كواين التى تجمع فلسفته كلها فى عقد واحد ؟ وناقشت بعض الإجابات ، وكان جوابى هو أننى أفضل أن اسمى فلسفته باسم التجريبية السلوكية .

والحق أن فلسفة كواين تؤثر تأثيرا بالغا فى الفكر الفلسفى المعاصر ، وهو أمر لا تخطئه عين من يراجع أية دراسة فلسفية أو أية مجلة من المجلات الفلسفية الرائدة على الأقل فى العالم الناطق بالإنجليزية ، إذ تحظى فلسفته بمشايعة كثير من الأنصار ، ولكنها تثير أيضا كثيرا من المعارضة والجدل ؛ وطالما أننا نريد أن نكشف عن عمق هذه الفلسفة وحيويتها ، فلم نجد بدا من أن نقدمها من خلال حوار فعال بينها وبين الآراء المعارضة لها والمؤيدة على السواء ؛ وإذا كان الصواب قد جانبنى هنا أو هناك ، ففى وسعى أن اعتذر اعتذار الفارس الذى تخونه قواه على لسان حافظ إبراهيم عندما قال :

لا تلم كفى إذا السيف نبا　　صح منى العزم والدهر أبى

ويطيب لى أخيرا أن أزجى خالص شكرى وتقديرى لاستاذى الأستاذ الدكتور محمد

لذى غمرنى بفضله وعلمه طوال ما يقرب من عشر سنوات خلت ، أفدت فيها من حسن توجيهه ونصحه ، فجزاه الله عن العلم والنصح والفضل خير الجزاء ، ونسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كفاء ما بذلنا فيه من جهد ، وهو فى الأصل يمثل جانبًا كبيرًا من رسالتى للدكتوراه التى تقدمت بها لجامعة القاهرة سنة ١٩٩٣ ، وعلى الله قصد السبيل .

مدينة السادس من أكتوبر

فى ١٩٩٥/١/١٢

د . صلاح إسماعيل

الفهرست

الصفحة

الصفحة

رقم الإيداع	١٩٩٨/٨٥٦٩
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5049-X

٣/٩٥/٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)